

الملك وزعر العملة ينون له بلاطه والحدايق والتمول والغدران والاسالك  
 في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تطاير من شجرة الى اخرى .  
 وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا  
 تصويرها من الامام . ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر  
 الحيوانات في الاحايين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة  
 أن تنقل نقلاً حقيقياً مدهشاً . وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسونها  
 أصح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائهم حتى ان اليونان اقتدوا بذهبهم في  
 الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففأثروا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا  
 اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

### حسنات القرن الماضي وسيدته

معربة عن الفرنسية

من المعلوم ان حب البذخ قد وجد في كل عصر من عصور العالم وتواريخ  
 الامم القديمة طائفة بالامثلة الكثيرة من ذلك ولكنه كان أبداً سبب  
 الشقاء العام والخاص وتأثيره في هذه القرون الحديثة أدهى وأمر . فقد كان  
 البذخ في القرون السالفة من شأن طبقات الاشراف الكبراء أما في القرن  
 التاسع عشر فاصاب الطبقة الوسطى من الناس تلك الطبقة التي نالت مآلات  
 بفضل ما خولت من الامتيازات . وهذه الطبقة على كثرة عددها من  
 أشد الطبقات قرباً من الطبقة السافلة وأكثرها بها اختلاطاً ولذلك أصاب  
 هذه أيضاً من ذلك المرض شدة ، وبرحت بها تباريح التفخيل والتبرج .  
 ومن الاسف ان آفة التظاهر باليسار ما زالت يتفاقم شرها ويعظم ضررها  
 من حين الى آخر وهي من الجراحات الاجتماعية التي هاجت الطبقات الميسورة

والطبقات المسورة معا . فقد اعتدنا ان نتخذ من الظل نوراً ومن الظواهر  
حقائق حتى تضطر الحقيقة ان تكتسي بين اظهرنا في الاحايين رداءً آموداً  
من الكذب للوصول الى الغاية تشدماً

وما دام العلم لم يعم سواد الشعوب وطبقة العملة لا تهديها المعارف الى  
وجه مصالحها الحقيقية فالميدان رحب لاهل المطامع ممن يستخدمون البذخ  
آلة لاضلال الرأي العام فيعمدون الى طرق غريبة في الكسب والانتفاع  
ومنها أشغال البورصة والمضاربات . وسرها قائم بالتأثير في أفكار الرجال  
بإيجاد الثقة وعدمها في بعض الاحوال على حسب أغراضهم وهم يسيئون  
استعمال الثقة العامة بأشاعات كاذبة يلقونها ليغتوا فيكونوا عالة على ما اقتصد  
الوف من البيوت المكيئة وأنت عارف بنتائج أشغال البورصة في الآداب  
العامة فان زيادة المالية على هذا النحو تضعف الاحساس وتصد الذكاء عن  
سنه وغايته الحقيقية وتمتل النشاط على العمل . ويسود أعظم نجاح باهر  
في الصناعات العادية في عيون أصحابها في جانب الوعود الخلابه التي يمدم  
بها القائمون على هذه التجارة . ثم ان امثال هذه الثروات السريعة الحصول تنبه  
طمع من كانوا يقنعون من قبل بشرات اعمالهم أو أملاكهم فأخذهم دوار  
الريح فيتدهورون في هذه المضاربة المخطرة فيؤدي ذلك الى خراب ثروات عديدة  
وتجلب المصائب على أسرات كثيرة . وما ننس لانفس الازمات المالية التي  
وقعت منذ ثلاثين سنة في فينا وبرلين وباريز ولندرا وحدث عنها أفلاس  
عظيم في الطبقات العالية والوسطى مما يثبت نتائج البورصة السيئة وما هي  
الا بنت البذخ والزهو الجنوني في عصرنا  
ولقد حدث الحال بالامم ان ترقى درجة التعليم العام بداعي الجهاد

المستمر العظيم في معتك الحياة الحاضرة فأخذوا يملأون رؤوس التلامذة الذين يتأهلون للصناعات العلمية والادبية بأنواع المعارف فتضيق عن استيعابها ولا تقوى أجسادهم على تحمل ما ينهال عليها ويصرف من دقائقها فيصابون بأمراض طبيعية وعقلية وتضعف تراكيبيهم عن تميم وظائفها وتضطرب تنفيذهم والمساعدات على تراكيبيهم النامية

والإم التي تزعم أنها في مقدمة الحضارة والقيمة على أسبابها هي التي تجتهد كل الجهاد في هذا المعنى فتتفق النفقات الطائلة لتزيد في ترقية الشبان وإنارة عقولهم وزيادة عند المدارس وتحسين مواد التعليم العالي والوسط والابتدائي . ولا يفوتنا النظر زيادة على ما ذكر من القوانين الفيسيولوجية ( المختصة بوظائف الاعضاء ) ان نفوذ القوى العقلية متوقف على كمية الاكسيجين التي يحملها الدم الى الدماغ وعلى الهواء الصافي الذي تتوفر فيه مادة الاكسيجين يشاركها على تحسين مجرى الرئة وهو السبب الضروري لسلامة الوظائف العقلية . فاذا بطل هذا الشرط وأضيف اليه تهيج القوى العصبية الناتج من شغل عقلي طويل وخصوصاً في بعض التراكيب والاعمار يضعف مجرى الدم ويؤدي بالتدريج الى الفقر الدموي الدماغى والى إنهالك القوة الفكرية ويبدأ ذلك بضمف الذاكرة وعدم الامكان في تحديق النظر في الموضوعات المهمة والشبان الذين يتعاطون العلم يصابون غالباً بسوس الاسنان وقد بثت لاحد أطباء برلين من احصاء خمس سنين ان ثمانين في المئة ممن تقدموا ليكونوا متطوعين في الجيش مدة سنة لم يكونوا صالحين للخدمة

والنتيات اللاتي ينصرفن الى الاشغال العقلية يصبن أيضاً بما يصاب به الفتيان من ضعف الدم والامراض العصبية المختلفة وخصوصاً في سن

البلوغ لأن حالة المجتمع الحديث أصبحت تقضي على الفتيات ان ينصرفن  
جملة الى الكد وإنبالك القوى للتغلب على رفق الحياة ومنهن من لا يجتهدن  
على هذا النحو الا مجارة لرغائب والدائمين أو عملاً بما يقتضيه التقليد . واذ  
كان معظمهن عائشات غالباً في المجال المزدهرة ولا تسمح لهن أحوالهن  
المالية بالعيش أبداً في احياء معرضة للهواء، وبيوت توفرت فيها شروط الصحة  
على بابها فقد أسفر ذلك عن انقطاع الحواس التنفسية عن بلوغ حدها الاعلى  
من الانبعاث لقلة التمرين الوظيفي مما يؤدي الى بشاعة كثيرة ويفسد  
الايضاح الجسدية ويفضي الى الحسر (ضعف البصر) وانحراف العمود الفقري  
الشائمين بين الفتيان والفتيات في خلال سن البلوغ

وقصارى القول فقد أحدث القرن التاسع عشر تأثيراً في اصلاح  
الخيرات المادية والادبية والعقلية في جميع طبقات المجتمع عامة وفي طبقات  
العملة خاصة قلقت قيمة ما احدث وكلفت فوائده أهل الاجيال الحاضرة  
والمستقبله كثيراً اذ لم يترك في الوجود غير كثير من المسائل الاجتماعية  
دون ان يحلها . وسيبقى الجهاد أبداً قائماً على سائر وقدم بين نصراء الطريقة  
القديمة والمجاهدين لتحقيق نياتهم في الارتقاء الحديث . بين رأس المال والعمل .  
بين حقوق المجموع وحقوق الافراد .

ومن الازف انا لانزال في دور التجارب وإنا لتتطال الى بلوغ عقل  
الانسان مرتبة الكمال وهذا لا يتأتى إلا بالانفاق من سائر التركيب النامي  
الذي يضمف فيعمل على الدماغ فتختلف الاضطرابات باختلاف القوى  
العصبية والاشغال العقلية والجنس والسن . وافراط الشبان في الاشغال  
العقلية . مضافاً الى الاستكثار من ضروب الشهوات في سن الرجولية هو

الداعي عند بعضهم الى استنزاف مادة القوى ونفوذها العقلي ويؤثر في بعضهم من الجهاد في الحياة ومن مختلف ضروب الاطماع في نيل المراتب والمناصب الاجتماعية ويكون سببها عند بعضهم بذل قوى الافراد الطبيعية والادبية باضعاف التركيب النامي بالاضطرابات والهيجان من كل ضرب .

والحق يقال ان الانسان قد تعلم بفضل ارتقاء الحضارة الحديثة طرق الوقاية من كثير من الامراض بالعمل بالقوانين الفسيولوجية أي بواسطة الاسباب الصحية في اعمال الحياة الخاصة والعامة . ولا يفوتنا ان تلك النواعد كانت في الازمان النابرة مجهولة فكان الضعفاء عرضة للهلاك بداعي قلة اسباب مدافعة العناصر العادية التي تبرز بهم الدوائر على حين فاز الافوياء بما ارادوا من المنعة والوقاية وحيوا حياة طيبة عمروا فيها الى ان تمتعوا باولاد وبنين . هذا وقد توفرت اليوم دور الصحة للفقراء ومستشفيات السل والمصاح والملاجي والبيمارستانات لليتامى والعيان والصحم البكم والمعتوهين والبله . وبالجملة فان المجتمع يؤول في حجره الفقراء والمرضى والبله والضعفاء وكل من أعوزتهم القوة وخانتهم اسباب الجهاد . وقد صار من لم يعيشوا من قبل الا أياماً في حالة حسنة يعيشون معها ويكبرون ويتبسطون في هذه البيئة الصناعية كالنبات يدهش في بيت من الزجاج بما من من الاحداث الجوية وربما ولدوا اولاداً ضامفاً مثلهم وإن كانوا على جانب من الذكاء ولكنهم حرموا من الحدة الطبيعية واحتاجوا للوسائط الصناعية لينجحوا وقد ورثوا الاجيال اللاحقة تلك المفسدات العضوية التي لا تؤهلهم لبلوغ الاجل الاوسط من الحياة البشرية أو تعدهم للامراض المهلكة التي تشد وطأها على الجنس الانساني وخصوصاً في مراكز السكان الكبرى .

وغير خاف ان ثماء التجارة والصناعة في النصف الاخير من هذا القرن  
لم ينشأ عنفساد هواء المدن بازدياد الناس في انحاءها وبما ينبعث من قاذوراتهم  
وعضهم بل قد نتج منه شقاء الطبقة النازلة وانتشار الفجور والفساد والجرائم .  
وما من أحد يجهل ان السوق في المدن الكبرى يخالون أبدأ للانتفاع من  
المفاسد البشرية واماكن الالهو مثل محال القهوة والمجتمعات ودور اللعب  
والحانات والمواخير حيث ينفق بعضهم في اللعب ما اقتضده وآخروا  
ينفقونه في معاورة المشروبات الروحية وغريق منهم يأتون في نادهم المنكر  
وهم لا يتاعون . وانت ترى بهذا ان حياة العيال المحبوبة آخذة بالضعف  
من حين الى آخر كما ان التعلق بالبورصة ( المسكن ) الاهلية آخذ بالفتور  
والانحلال . ولم تحدث محال القهوة والمجتمعات العامة الا لضرورة اجتماعية  
وتكون مهاداً يختلف اليه التاجر والاديب في الاحايين . وينتابه العامل في  
آونة عطائه . وقد استعاض عن الاخلاق والصلات البسيطة التي عهدت  
في الازمان السالفة بغيرها من الاخلاق والعمادات ولكنها نكدة مخالفة  
للطبيعة واجدر بها ان تكون مكسوة بالحلاء اللامع من الظواهر من ان  
تكون لها حقيقة لاشابة فيها .